درجات القـوة الإيقاعية في شعـر رشيد أيُّـوب

محمد محمود السيد عمران (*)

رغم أنَّ الوزن، والقافية من المقومات الأساسية لإيقاع النص الشعري ، إلا أنَّ ذلك لا يُغنى عن بحال من الأحوال تناسى ما تضيفه الموسيقى الداخلية للشعر من إيحاء، ونغم ، فعند تحليل النغمة تجدها مزيجًا من الإيقاع الداخلي، والإيقاع الخارجي؛ الذى لا يرتبط بالتفعيلة، وإنَّما بالكلمة ذات الإيقاع ذات المقاطع المخصوصة ، والتي يحدد نوعها الموقف ، والجرس الصوتي أو تردد بعض الحروف ترددًا ملحوظًا(١)، والانتقال إلى هذا المستوى الإيقاعي هو انتقال إلى فضاء رحب تتضافر فيه الموسيقى مع انفعالات النفس ، وما يتجاذبها من أبعاد فكرية، واجتماعية ، مما يجعل كل نص ينسج بنيته الإيقاعية الخاصة كما هو معروف عند عدد كبير من الدارسين ، لذلك رأى هؤلاء أنه " لا قاعدة ثابتة مسبقة لإيقاع القصيدة " .(٢)

فهو يمكن رصد مظاهره ولكن من الصعب تقِّصيه فى جميع وجوهه التى لا تخضع لقاعدة معينة، وتتداخل هذه المفاهيم وتتمكن حتى تغدو المفاهيم مقلوبة تتواصل فيها القاعدة مع اللا قاعدة مع فوضى الانطباع ، وليس ذلك لغاية سواء ترك أجواء التوقيع، وفضاءات الإيحاء تتخذ أبعادها الفنية الكفيلة باستيعاب كل الانفعالات الإنسانية لدى المتلقي(٣).

وهنا ينساب الإيقاع فى اللفظة، والتركيب فيعطى إشراقة، ووقدة تومئ إلى المشاعر فتجليها ، وتحسن التعبير عن أدق الخلجات وأخفاها(٤) ليكوِّن مع بقية عناصر العمل الشعري مفهومًا أقرب إلى ما أسماه كمال أبو ديب (الشعرية العلائقية) حين نفى أن تحدد الشعرية على أساس الظاهرة المفردة كالوزن، أو القافية، أو الإيقاع الداخلي، أو الصورة ، أو الرؤية، أو الانفعال . إذ إنَّ بعض

(*) هذا البحث من رسالة الدكتوراه الخاصة بالباحث، وهي بعنوان: " شِعْر رشيد أيُّوب (١٨٧١م - ١٩٤١م)" دراسة تحليلية فى ضوء نظرية القوة الإيقاعية "، تحت إشراف أ.د. حازم علي كمال الدين – كلية الآداب – جامعة سوهاج & أ.د. محمد عبد العال محمد & كلية الآداب – جامعة سوهاج.

(١) البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم، د.محمد إبراهيم أبو شادي، دار الرسالة الطبعة الأولى (١٤٠٩ه ـــ ١٩٨٨)، صـــ٥٦.

(٢) فلسفة الإيقاع فى الشعر العربي، علوي الهاشمي المؤسسة العربية للنشر،(٢٠٠٤م)،صـــــ٧٦.

(٣) خصائص الإيقاع الشعري، د. العربي عميس، دار الأديب للنشر،(٢٠٠٥م)، صـــــ١٨.

(٤) الإيقاع فى الشعر العربي، عبد الرحمن ألوجى، دار الحصاد للنشر،(١٩٨٩م)،صـــــ٧٩.

من هذه العناصر عاجز عن منح اللغة هذا النور إلا حين يندرج ضمن شبكة من العلاقات المتشكلة فى بنية كلية[١].

ولا شك بعد هذا كله ـأن أداء النغم للمضمون يتفاوت قوة ، وضعفًا بحسب نصيب تجربة الشاعر من الصدق[٢].

سنحاول فى هذا البحث الكشف عن درجات القوة الإيقاعية فى شعر رشيد أيوب ، تلك القوة التى تتألف من وجود عناصر الإيقاع الصوتي ـــــ الإيقاع الداخلي ـــ داخل النص الشعري ، والذى يختلف بدوره عن النثر ، وهذا الاختلاف فى تقسيم درجة القوة الإيقاعية ينتج من مدى توافر عناصر القوة الإيقاعية فى النص الشعري .

ويمكننا تقسيم درجات القوة الإيقاعية إلى قوة إيقاعية مرتفعة، وقوة إيقاعية متوسطة، وأخرى منخفضة .

القــوة الإيقــاعية المرتفعــة

هذه الدرجة من القوة الإيقاعية تتحقق عن طريق اجتماع أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية داخل النص اللغوي بجانب الوزن ، والقافية[٣]، وقد ترد هذه العناصر مجتمعة فى بيت واحد ،أو فى أبيات متتالية ، أو فى أبيات متفرقة .

أ ـ القوة الإيقاعية المرتفعة فى بيت واحد

وردت هذه الدرجة من القوة الإيقاعية المرتفعة مجتمعة عناصرها فى بيت واحد بكثرة فى شعر رشيد أيوب ، فنراه متحدثا عن مستحدثات عصره فى قصيدة (نيويورك) [٤]

فخاضُوا عَجاج البَحْرِ والبحرُ صَاغِر ودَكُّــوا فِجَــاجَ الــــبرِّ رُغمًا عن الــــبرِّ

عندما ننظر إلى هذا البيت نظرة تحليلية نجد اجتماع أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية ؛ وهى المناسبة اللفظية ، التكرار ، والتصريع ، بالإضافة إلى عنصري الوزن ، والقافية ، وهما عنصران إجباريان ، وهذا يتضح من خلال التحليل ،

(١) استراتيجيات القراء : التأصيل والإجراء النقدي، د.بسام قطوس، دار الكندى للنشر،(١٩٩٨م) صـ٨٣.

(٢)البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم، د. محمد إبراهيم أبو شادى ، صـــــــــــ٥٧.

(٣) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين، صـــــ٧٦ .

(٤) ديـــوان الأيوبيات، رشيد أيوب، صـــــ٤٤، البيت من بحر الطويل.

فالمناسبة اللفظية تقع بين لفظتي (عَجَاج ـــ فِجَاج) وهى مناسبة لفظية ناقصة إذ إنها متفقة فى البنية المقطعية والقافية(*)

عَجَاج ـــــ ع + جا + جَ فِجَاج ـــــ فِ +جا +جَ

ص ح + ص ح ح + ص ح ص ح + ص ح ح + ص ح

يتضح من هذا التحليل اتفاق اللفظتين فى البنية المقطعية ؛ كذلك متفقة فى القافية، وهو حرف أما العنصر الثانى (التكـــــرار) فنجد أن الشاعر قد استخدم التكرار هنا بأكثر من طريقة مبتدئًا بأبسط أنواع التكرار؛ وهو تكرار الحرف ، فنجد تكرار حرف الراء فى كلمات (البحر ـ صاغر ـ البر- رغما) ، وهذا النوع من التكرار يلجأ إليه الشاعر بدوافع شعورية لتعزيز الإيقاع فى محاولة منه لمحاكاة الحدث الذى يتناوله، وربما جاء عفويًا، ونجد رشيد أيوب هنا استطاع أن يستغل ما تنتجه اللغة من إمكانيات صوتية لتحقيق إيقاع صوتي يؤدى وظيفة دلالية ، كذلك نراه كرر حرف المد الألف هذا المد إنما امتداد إيقاعي يتناسب مع موقف الوصف، والإعجاب بالمدنية والتحضُّر فى ظل عصر الاختراعات الحديثة، وكان اختياره موفقا لحرف المد الألف (عجاج ـ فجاج ـ صاغر) وهو حرف حلقي يتسم بامتدادية صوتية عالية قياسا بأصوات المد الأخرى ، بالإضافة إلى نوع آخر من التكرار وهو خاص بتكرار الكلمة (البحر ـ البر) مما يثرى الناحية الدلالية وهو التأكيد ، والناحية الإيقاعية، والجرس الموسيقي .

أما العنصر الثالث (التصريع) بين كلمتى (البر ـ البحر) جاءت فى هذا البيت متفقة فى عروضه وضربه فى آخر حرف وهو الراء .

ونراه يجمع بين أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية فى بيت واحد، فى قصيدة (النائح الشادى)(١)

أنا النائـحُ الشادي أنا مسرحُ الهَوَى أنا الشـارِدُ الهادي أنا آية الدَّهـــــر

من خلال تحليل البيت السابق نجد أن رشيد أيوب جمع بين أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية (التكرار الحرفي ـــــ التكرار الاسمي ـــــ المناسبة اللفظية ـــــ الجناس الغير تام) أما التكرار الحرفى ؛ وهو تكرار حرف المد الألف الذى جاء فى الكلمات (نائج ـ شادى ـ شارد ـ هادى)

(*)عَجَاج: صوت الماء ؛ جاء فى اللسان : نهر عجاج : تسمع لمائه عجيجًا أى صوتا، ينظر لسان العرب، لابن منظور مادة (عجج) المجلد الرابع، صـــــــ ٢٨١٣.

- فِجاج : الفج الطريق الواسع بين جبلين، وقيل فى جبل أو فى قُبل جبل وهو أوسع من الشِّعب، وجمعه فجاج وأفجة ينظر اللسان، مادة (فجج)، المجلد الخامس، صـــــ٣٣٥٠.

(١) ديوان الأيوبيات، رشيد أيوب، صـــــ ١٣٩، البيت من بحر الطويل.

هذا التكرار بجانب ما يحدثه من إيقاع موسيقى ، يوحى كذلك بحزنه الدفين فى قلبه الذى طالما يظهره فى شعره ، كذلك نراه يستخدم ـــــــ بجانب التكرار الحرفي ـــ تكرار الكلمة المتمثل فى تكرار الاسم وهو ضمير المتكلم " أنا " هذا الضمير الخاص بالتكلم الذى يوحى بالخصوصية للآلام والحزن .

كذلك نراه يستعمل عنصرا هاما ورئيسيا من عناصر الإيقاع الصوتي وهو " الجناس " وخاصة الجناس غير التام أو الناقص الذى يعتبر الأكثر ورودا من الجناس التام، ونلاحظ وقوع هذا الجناس بين كلمتي (هادى ـــ شادي) هذا الجناس وما يحمله من إيقاع موسيقي خاص ، يعمق كذلك الإيحاء بما آلت إليه حالة الشاعر من الشكوى والحزن ، بفعل الغربة والبعد عن الوطن .

نجد العنصر الثالث من عناصر القوة الإيقاعية وهى " المناسبة اللفظية " ولكن هذه المناسبة التى تتفق فيها الكلمتين البنية والوزن (نائح ـــ شارد) مناسبة ناقصة يظهر ذلك من خلال تحليل الكلمتين

نـــــائـــــح ـــ نا + ئـــ + حُ شارد_ شا + ر + دُ

ص ح ح + ص ح + ص ح ص ح ح + ص ح + ص ح

وفي بيت آخر نجد اجتماع أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية ، وفى هذ البيت تأتى هذه العناصر مختلفة عن العناصر السابقة ؛ هذا دليل على تمكن الشاعر من استخدام العناصر الخاصة بالإيقاع استخداما ينم عن موهبة متمكنة من شاعريتها ،نرى فى بيت من قصيدة (يا ثلج)[1]

إن كنتَ تجهلُ أنت فى يس أوْ كنتَ تعلمُ أنتَ فى عسرِ

بالنظر إلى هذا البيت نجد أنه اجتمعت فيه عناصر إيقاعية صوتية تَعتمد على التكرار باختلاف أنواعه ، إلى جانب التصريع الذى يقع بين عروض البيت وضربه ، كذلك يقف إيقاعا جديدا بجانب الإيقاع الصوتى وهو إيقاع خاص بالكلمة وهو إيقاع الطباق الذى هو نوع من أنواع المقابلات ، وستتضح جميع هذه العناصر من خلال تحليل هذا البيت .

نجد التكرار الخاص بالكلمة (كنت ـــ أنت) تنوع هذا التكرار بين تكرار الفعل الماضى الذى يدل على التحسر والحزن ، وبين ضمير المخاطب الذى يصور به الشاعر أنه متحدثا إلى شخص آخر وهو فى الحقيقة هذا الخطاب إنما خطاب النفس للنفس مما يوحى لعزلته وشجونه ، كذلك نجد نوعا اخر من انواع التكرار وهو تكرار الاسلوب الخبري والبنية المقطعية، كذلك التصريع بين كلمتى (يسر ـــ عسر) هذا التصريع الذى يقع .بين العروض والضرب للبيت لواحد ، ونجد الطباق بين (تجهل ، تعلم / يسر ، عسر) ونجد أن مصطلح التقابل الذى استخدمه الشاعر ـــ وهو فى الأصل ـ اختلاف دلالة لفظية أو أكثر اختلافا

(١) ديوان أغانى الدرويش، صـــ١٣١، البيت من بحر البسيط.

عكسيا تضاديا متناقضا " أو أنه " ثنائيات لفظية مختلفة تقابل ثنائية دلالية تقابلا متضادا متناقضا " [١]

والطباق والمقابلة يقومان على نوع من التناظر المعنوي واللفظي أحيانا يغنى الإيقاع ويبرزه ويمتد به إلى البنى العميقة للنفس[٢]. هذا الطباق الذى استخدمه الشاعر هنا بجانب ما يحققه من إيقاع خاص يختلف عن الإيقاع الصوتى التكراري ، إنما يحمل دلالة الحزن والشجون وتذكر الأوطان الذى طالما تلهب مشاعره. مما يزيد لدى المتلقى درجة الشعور والانسجام بينه وبين الشاعر وقضيته الأولى وهى الغربة والحنين إلى العودة إلى لبنان .

هذه النماذج التى ذُكرت وجمع فيها الشاعر بين أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية ــ بجانب العنصرين الإجباريين " الوزن والقافية " قد استطاع من خلالها أن يكوِّن إيقاعا خاصا داخليا مجتمعا فى بيت واحد، وذا قوة إيقاعية مرتفعة، هذا كله إنا ينم عن موهبة عالية وشاعرية متمكنة لدى رشيد أيوب شاعر الأحزان والشجون .

ب ــ القوة المرتفعة فى أبيات متتالية

جاءت القوة المرتفعة فى أبيات متتالية تضم أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية مختلفة؛ كل مثال فيها يختلف عن الأخرى ، هذا إن دل إنما يدل على تمكن الشاعر من ثروته البلاغية ، كذلك انتشار الإيقاع من خلال قصائده المختلفة ، نراه يقول فى قصيدة (سلطانة البحر تيتانك)[٣]

هذهِ الدنيَا وما فيها غرور عبثًا ترجو من الدنيا السَّلامْ
أرضَعتْنا ثَدْيَ أنسٍ وسرور وسَقَتنا المرَّ من بَعد الفطامْ
فإلى مَ هذه الدنيا تجور إنَّ هذا ليس من شأنِ الأنامْ

نراه القوة الإيقاعية هنا متمثلة فى أكثر من عنصر من عناصرها " تكرار، مناسبة لفظية، الوضوح السمعي"، أما التكرار فإننا نرى الشاعر يستخدم أكثر من نوع من أنواع التكرار وهو التكرار الحرفي وهو أقل أنواع التكرار نراه يكرر حرف (من) فى الأبيات الثلاثة ، وكذلك التكرار الاسمي بتكرار كلمة (الدنيا) هذا التكرار اللفظي وما يحمله من قوة إيقاعية ، يُوحى كذلك مما يعانيه الشاعر من آلام وحزن عميق داخل نفسه المكتظة بالآلام ، كما يظهر عنصر إيقاعي آخر له وقع على الأذن ، وهو المناسبة اللفظية التامة بين (غرور ــ سرور)

(١)علم الدلالة التطبيقي فى التراث العربي، د.هادى نهر، دار الأمل للنشر، ط الأولى (٢٠٠٧م)، صـــــــــ٥٣٨.

(٢) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي فى العصر العباسي، د. ابتسام حمدان، مراجعة . أحمد عبد الله فرهود دار القلم العربي، ط الأولى، صـــــــــ٢٩٢.

(٣) ديوان الأيوبيات، رشيد أيوب، صـــــــ٢٧،٢٦، الأبيات من بحر المتقارب .

والكلمتان متفقتان فى البنية المقطعية والقافية ويظهر ذلك من خلال تحليل الكلمتين

سرور ←—— سُ + رو + ر غرور ←—— غُ + رو + ر

ص ح + ص ح ح + ص ح ص ح + ص ح ح + ص ح

كذلك استخدام الوضوح السمعي من خلال استعمال حرف المد الألف فى كلمات

(فيها ــ السلام ــ فطام ـــ أنام) واستخدام حرف المد الواو فى كلمات (غرور ـــ سرور ـــ تجور) بجانب ما تحمله حروف المد هذه من إيقاعا من خلال ترديدها فى الأبيات المتتالية، إلا أنها تحمل شدة حزنه من أفعال الدنيا به ، وأن هذه الدنيا ليست دار سلام، فهى صبَّت ظلمها عليه .

فى حين آخر يجمع بين أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية مختلفة ، وهذا دليل على تمكُّنه من أسلوبه الإيقاعي الخاص به مما يعطيه تنوعًا ، ونراه فى قصيدة (الشيخ والفتاة) [1] يقول

فقال لها هل أنتِ تائهةٌ هُنـــــــا وتبكينَ من فَرْطِ المشقةِ والعنَـــــا

علامَ علامَ ذا البكاء وذا الضنـــك بعيشك قولى هل تقطعت المُنـــــى

هنا يجمع الشاعر بين أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية مختلفة ، نراه يأتى بأكثر العناصر الإيقاعية جرسا وهو " الجناس " الناقص الذى يختلف فى حرفين متقاربين فى المخرج ويُسمى جناس المضارع[2]، وذلك يتضح بين كلمتى (هُنـــــا ـــ عَنـــــا)، كذلك تكرار الأسلوب الإنشائي المتمثل فى الاستفهام (هل ـــ علام) كل هذا يحمل جانبا إيقاعيا عظيما، كذلك يوحى بحيرة شديدة يقاسيها الشاعر فى غربته ، وأنه يشعر بالتيه خارج الأوطان . كذلك نلحظ عنصرا إيقاعيا آخر متمثل فى التصريع الذى يجمع بين عروض البيت الشعري وضربه ، بين كلمتى (منى ـــ ضنى) هذا التصريع يحمل إيقاعا من نوعا خاصا إيقاعا يربط بين آخر الشطر الأول من البيت بآخر الشطر الثاني من نفس البيت، كذلك الجمع بين كلمتي (الضنى ـــ المنى) تحمل بين طياتها دلالة واسعة بجانب الإيقاع من حيث الحزن وفقدان الأمل تارة ، هذه حيرة الشاعر التى يقع فيها من شدة ما يقاسيه فى غربته، مما خلق تصارع نفسي بداخله من خلال تمسكه بآمال العودة إلى الأوطان، كذلك الشعور بخيبة الأمل الذى تتكسر على صخرته كل الآمال، وتتقطع الأماني .

(١) ديـــــــوان الأيـــــوبيات، صـــــ٥٩،٦٠، الأبيات من بحر الوافر.

(٢) فنون بلاغية، البيان ـــ البديع، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية،(١٣٩٥ه ـــــــ ١٩٧٥م) الطبعة الأولى، صـــــــــ٢٢٥.

جـ ــ القوة الإيقاعية المرتفعة فى أبيات متفرقة

تأتى هذه الدرجة من القوة الإيقاعية المرتفعة فى أبيات متفرقة تجمع بين أكثر من ثلاثة عناصر إيقاعية ، فنراه فى قصيدة (نكبة لبنان)[١] يقول

البيت الرابع والعشرون

رُوَيدكُمُ يا قومُ فالآلُ فى ضنًى يُنـــــــادون هلاّ تسمعونَ المنادِيا

البيت الخامس والعشرون

تطـولُ لياليهم إلى حـــدَّ أنَّـــهمْ يظنُّون أنَّ الدَّهـــرَ صار لياليـا

البيت السادس والعشرون

رُوَيدكُمُ يا قومُ فالجوعُ قد سَطَـا وعَمّ فأعمى النائِحَـاتِ البَوَاكِيـا

من خلال تحليل الأبيات السابقة نجد أن عناصر الإيقاع جاءت فى أبيات متفرقة ، نراه يستخدم التكرار الحرفى من تكرار حرف المد الألف (ينادون ــ هلا ــ المناديا ــ لياليهم ــ لياليا ــ سطا ــ النائحات ــ البواكيا) فحرف المد هذا بجانب الإيقاع الذى يحققه ، يعبر عن نفس ملتهبة مليئة بالحزن والشجون ، كذلك تكرار الكلمة تكرار(رويدكم ــ يا قوم) كررها فى البيت الأول وكررها فى البيت الأخير ؛ هذا التكرار لهاتين الكلمتين وما تحملاه من إيقاع ظاهر، ثم يأتى بعنصر المناسبة اللفظية الناقصة التى تتفق فيها الكلمتان فى البنية المقطعية والقافية ؛ويظهر ذلك من خلال التحليل ....

منادیا ← منا + دِ + يا بواكيا ← بوا + كِ + يا

ص ح ح + ص ح + ص ح ح ص ح ح + ص ح + ص ح ح

ثانيا ــ القوة الإيقاعية المتوسطة

يتحقق هذا النوع من القوة من خلال اجتماع ثلاثة عناصر إيقاعية[٢]، بالإضافة إلى العنصرين الإجباريين الوزن والقافية ، ويأتى شكلها فى القصائد مثلما سبق ، وسيحاول الباحث الكشف عن تلك الدرجة وطرق وجودها ، وتحليل الأبيات بيانا لهذه القوة.

أ ــ القوة المتوسطة فى بيت واحد

تنوعت مصادر هذه القوة التى اجتمعت فى بيت واحد ، وذلك من خلال تنوع عناصر الإيقاع الموجودة فى البيت الواحد التى تدل دلالة واضحة على ثراء الجانب الإيقاعي فى شعر رشيد أيوب ، فنراه فى قصيدة (نيويورك) [٣] التى تتكون من تسعة وأربعين بيتا

(١) ديوان الأيوبيات ، صـــــــ١٤٤.
(٢) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين، صـــــــــ٧٨.
(٣) ديوان الأيوبيات، صـــــــ٣٨.

أُكَتِّــمَ صبْرى والخطــوبُ تــنـَوشنى(*) وهَيْهات أن تَقـْـوى الخطـــوبُ على صبري

من خلال تحليل البيت السابق نجد أنَّ رشيد أيوب قد استخدم التكرار الحرفى، وهو المتمثل فى حرف الواو، وهو حرف يدل حزنه الشديد عند تذكُر أوطانه، فيحاول كتمان هذا الحزن فى قلبه، وقلبه الذى يتحمّل تلك الآلام لا تستطيع الخطوب تحمل هذا الصبر، بالإضافة إلى ما يحققه هذا التكرار من إيقاعا ظاهرا تطرب له الأذن ، كل هذا مجتمعا مع الوزن والقافية .

ونراه فى موضع آخر يستخدم عنصرا ايقاعيا صاخبا ، له وقع وجرس تطرب له الآذان وهو " الجناس "، ويستخدم نوعا قد انتشر فى شعره بنسبة تصل إلى ٦٥% وهو الجناس الناقص أو الغير تام، فنراه يقول فى قصيدة بعنوان (فاذكرينى عند هاتيك الصخور)(١) يقول:

واسمعى فالخيلُ ضَجّت بالصّهيل وصليلُ السيفِ إعلانُ النـــــــــزالْ

نرى الجناس الناقص بين كلمتى " صهيل ــ صليل " ، فهذا الجرس الصوتي قد اكسب الكلام لونا من الموسيقا المؤثرة ، بالإضافة إلى أن الصوت النابع من اللفظ صدى لإحساس الشاعر كل ذلك بالإضافة إلى العنصرين الإجباريين " الوزن والقافية ".

ب ــ القوة الإيقاعية المتوسطة فى أبيات متفرقة

جاءت هذه الدرجة من القوة الإيقاعية فى شعر رشيد أيوب متنوعة العناصر الإيقاعية من تكرار " حرف ــ كلمة ــــ مقطع ــ جملة " ، كذلك الجناس ، بالإضافة إلى المناسبة اللفظية سواء كانت تامة ، أم ناقصة ، سبين الباحث صور ورود هذه الدرجة من القوة الإيقاعية من خلال رصد لعناصر الإيقاع .

نراه يستخدم النوع الأبسط من أنواع التكرار، وهو تكرار الحرف ؛ فى قصيدة (يا دمعة جالت)(٢) يقول:

يا دمعـــةً جالتْ لذكــرِ الصِّبا فى مقلةٍ قد جعَّدتها السنـونْ(*)

خافت عليها العينُ من لَائــمٍ فغيَّبتها فى زوايا الجفـــــونْ

ويا فؤادًا خافقـــــًا بالجـَوى خفتُ عليه يعتريهِ السكـــــونْ

(*) تنوشنى : نوش ناشه بيده ينوشه نوشا أى تناوله، ينظر اللسان، مادة نوش، المجلد السادس، صـــ٤٥٧٥.

(١) ديوان الأيوبيات، صـــــــ٤٦، البيت من بحر الرمل.

(٢) ديـــــــوان هى الدنيا، رشيد أيوب، صـــــــــــ٢٦، الأبيات من بحر الرجز.

(*)جالت : تحرك واضطرب، ينظر العجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية (٢٠٠٤)، ط٤، صـــ ١٤٨.

من خلال تحليل الأبيات نجد أن الشاعر يكرر حرف النداء ، بجانب الوزن والقافية . ثم نراه يتجه إلى تكرار أسلوب فى قصيدة (يا شبابى) [١] يقول

يا شبابًا كان لى نِعْمَ الّشباب أينما سرْنا وفى أىّ مكانْ

وبعد عدة أبيات نراه يقول

يا شبابًا منذُ عني جَمَحَا لم أزلْ أرْعَى نجوم الأفُق

هذا التكرار بجانب ما يحققه من قوة إيقاعية ، له جانب دلالي يوحى بحزنه العميق على فقدان أيام الشباب ، والتحسر على ذهابها .

ثم يتجه إلى تكرار الجملة كاملة ، فنراه فى قصيدة (ذلك الزمان) [٢] يقول

آهًا على زمانٍ إذ كنتُ فى الصِغَرْ

ثم تمر عدة أبيات آهًا على زمانٍ فى أوَّل الهَوى

هذا النوع من التكرار لذى يتناول جملة كامل يحمل إيقاعا أقوى من النوعين الأولين، بالإضافة لما يحققه من دلالة الحزن الذى يعتصر قلب الشاعر .

ثم يعرض علينا تكرار المقطع الصوتي في قصيدة (دق يا قلبي)[٣] يقول :

دُقّ قلبى دَقّةَ الحبِّ السنيّ مالئِ الدنيا وكلّ السماوات ْ

وبعد عدة أبيات

دق قلبى دقة العطف الكبير لضريرٍ ضاقت الدنيا لديهْ

تكرر هذا المقطع الصوتى على مدار القصيدة كلها مما أعطى إيقاعا جميلا تطرب له الأذن من خلال الجرس الموسيقى الذى يحققه، بالإضافة إلى إظهار الحزن والتحسر.

ج ـــ القوة الإيقاعية المتوسطة فى أبيات متتالية

ورد هذا النوع من القوة المتوسطة فى الأبيات المتتالية فى شعر رشيد أيوب متنوع العناصر الإيقاعية من تكرار ، جناس ، مناسبة ، سيتضح ذلك من خلال رصد هذه الظواهر الإيقاعية

نراه فى قصيدة (يا دمعة جالت) [٤] يقول

حيث أغانى الحبِّ فى زَهــوهِ قد رددتها الطيُر فوق الغصــون

حيثُ روايات الصِّبا قد بَــدَتْ فى مسرح الأحلام تنفى الشّجُون

حيث معانى الله فى خلقـــــه حيث جمالُ الكونِ حيث الفنــون

من خلال قراءة الأبيات السابقة نرى أن الشاعر كرر الظرف " حيث " هذا التكرار الذى يحمل إيقاعا صوتيا يضفى على الأبيات جرسا موسيقيا ، بجانب ذلك الجمال اللفظى ، جمال دلالى

(١) ديوان الأيوبيات، صـــــ ١٠٨، البيت من الرمل.
(٢) ديوان هى الدنيا، صـــــ ٩٣، البيت من الرجز.
(٣) ديوان أغانى الدرويش، صـــــ ١٤٦، البيت من الرمل.
(٤) ديوان هى الدنيا رشيد أيوب صـــــ٢٧

فهو شاعر دائما يميل إلى الشكوى ، والحزن على أيام الشباب .
وفي أبيات أخرى نراه يذهب إلى عنصر إيقاعي آخر وهو الجناس ، الذى كما نعرف أنه العنصر الإيقاعي الأول ، نراه فى قصيدة (بنت الخلود) [١] يقول

عطشــتْ زهرةُ روحـى وذَوَت بنــت الخلـــود
فسقتْها من جروحـــــى هنا أيـــْـدى الوجـــود

عند النظر إلى كلمتى (روحى ـــ جروحى) نجد بينهما جناس غير تام ، وهما مختلفتان فى الحروف من حيث الزيادة والنقص وهو ما يسمونه الجناس الناقص.[٢] هذا الجناس يحقق إيقاعا وجرسا موسيقيا مختلفا عن بقية عناصر الإيقاع .

ثالثا ـ القوة الإيقاعية المنخفضة

يتحقق مستوى القوة المنخفضة عن طريق الوزن والقافية فقط . [٣] وهذه الدرجة من القوة الإيقاعية منتشرة فى شعر رشيد أيوب من خلال الدواوين الثلاثة .

أ ـ القوة المنخفضة فى بيت واحد

نرى رشيد أيوب فى قصيدة (وميض فى ظلمة الفبر) يقول [٤]

وتخبر كيفَ بلاد الدموعْ تُحَيّى اللواتى صَنَعْنَ الجميلْ

كذلك نراه يقول فى قصيدة (بوادى الحمى) [٥]

ذكـــرتُ لنفســى السَّفـــر فغَنّتْ بذكـــرِ الرّبـــــوع

نلاحظ أن البيتين السابقين قد خلا من التكرار، أو التجنيس، أو المناسبة اللفظية، فقد اعتمد

ب ـ القوة الإيقاعية المنخفضة فى أبيات متتالية

نراه يقول في قصيدة (أغنيتى) يقول [٦]

أنا لستُ وحدى فـى خلوتــى تعالى انظرينى وبنت الكرومْ
صفوتُ فرحتُ أغنِّى لهـــــا وراقتْ فلاحــتْ عليها النجـومْ
تلين بكفــّـــى ولكنهـــــا شديدة فتكٍ بجيش الهمـــومْ

فى الأبيات المتتالية السابقة نرى أنها خلت من عناصر الإيقاع الاختيارية ، ولكن عنصري الإيقاع الإجباريين موجودان ، وهما الوزن والقافية .

---

(١) ديوان أغانى الدرويش صـــــ٣٩ البيت من الكامل
(٢) بغيـة الإيضـاح لتلخـيص المفتـاح فـى علـوم البلاغـة، عبـد المتعـال الصـعيدي، مكتبـة الأدا،ج٤ صـــــــ٧٢.
(٣) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين، صـــــــــ٨٥.
(٤) ـديوان الأيوبيات صـــــــ٢٢٩، البيت من المتقارب.
(٥) ديوان أغانى الدرويش، صـــــــ١٣٥.
(٦) ديوان هى الدنيا، صـــــــــ٤٩ الأبيات من المتقارب.

جـ ــ القوة الإيقاعية المنخفضة فى أبيات متفرقة

نرى ذلك فى قصيدة (روحى وخلينى) يقول[١]

البيت الأول إذا دنا أجـل الظلمـاء وافينـــى يا نجمة الصبح يا سلوى المساكين

البيت الثاني أقضى الليالى وعينى فيكِ ساهرة كأنمـا كـان فى مغنـاك تكوينـــى

البيت الثالث يا نجمة الصبح والدنيا بها نُوَب إتـــى دعـــوتك للجلـــى فسلينـــى

من خلال تحليل أبيات هذه القصيدة المتفرقة ، نجد أنها خلت من عناصر القوة الإيقاعية معتمدة فقط على الإيقاعي الإجباري (الوزن والقافية)

**** القوة الإيقاعية غير المنتظمة**

تقدَّم الحديث عن القوة الإيقاعية المنتظمة التى يتساوى فيها مكونات النص من الجمل أو الأبيات فى عناصر الإيقاع ، أما القوة الإيقاعية غير المنتظمة؛ هي التى لا يتساوى مكونات النص من جمل أو أبيات، وينقسم هذا النوع على ثلاثة أقسام هى[٢]:

١ــ القوة التصاعدية

٢ــ القوة الانحدارية

٣ــ القوة المختلطة

وفيما يلى إلقاء الضوء عن هذه القوة غير المنتظمة فى شعر رشيد أيوب .

القوة التصاعدية فى شعر رشيد أيوب

هذا النوع من القوة معناه " تدرج أبيات القصيدة من الأدنى إلى الأعلى ، وهذا التدرج يكون منتظما ، أى أن بداية القصيدة تكون ذات قوة منتظمة منخفضة (هذه البداية قد تكون بيتا واحدا أو أكثر من بيت) ويأتى بعد هذه البداية باقى أبيات القصيدة ، وهذة الأبيات تكون ذات قوة منتظمة مرتفعة [٣].

نرى هذه الدرجة من القوة فى قصيدة (ليتنى) ، فالشاعر يبدأ قصيدته ببيت خالى من عناصر الإيقاع الاختيارية ، لا يوجد به سوى العنصرين الإجباريين"الوزن والقافية" يقول[٤].

قُلْتُ لمـّا طيبُ عيشى هربـــا واختفى فى ما وراء القمـــــــر

(١) ديوان أغانى الدرويش، صـــــ٧٣.

(٢) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين، ص٨٧.

(٣) السابق، صـــــــ٨٨.

(٤) ديوان الأيوبيات، صـــــــــ٧١، البيت من المتدارك.

من خلال تحليل هذا البيت وجد الباحث خلوه من عناصر الإيقاع ؛ أى أنَّ البيت ينتمى إلى القوة الإيقاعية المنخفضة ، سوى الوزن والقافية ، ثم تتراوح الأبيات فى الارتفاع فنجد أنه يقول(١)

كـرْبٌ فوق كـرْبٌ فـوق كَـرْبٌ صار عَيْشى بَعْدَ حظى الهارب

نلاحظ أن درجة القوة الإيقاعية قد أخذت فى الارتفاع إلى القوة الإيقاعية المتوسطة؛ التى تتمثل فى وجود ثلاثة عناصر إيقاعية بما فيهم الوزن والقافية، فنجد عنصر التكرار كلمات(كرب، فوق)

القوة الإيقاعية الانحدارية فى شعر رشيد أيوب

هذا النوع من القوة معناه " تدرج أبيات القصيدة من الأعلى إلى الأدنى، وهذا التدرج يكون منتظما؛ أى من بداية القصيدة تكون ذات قوة منتظمة مرتفعة، وتأتى بعد هذه البداية باقى ويمكن أن تأتى هذه الدرجة من القوة الانحدارية فى بيت واحد، أو فى أبيات متتالية ، وهذا ما سيرصده الباحث من خلال تتبع هذه الدرجة من القوة فى شعر رشيد أيوب .

نرى رشيد أيوب فى قصيدة (جزيرة النسيان) بدأها بقوة منتظمة مرتفعة، فنراه يقول(٢)

أرْغَـى المشيبُ وأزبـد(*) وابيضَّ ما كان أسـود

من خلال تحليل البيت السابق من القصيدة نجد أنها بدأت بداية مرتفعة للقوة الإيقاعية ، حيث توفر أكثر من عنصر من عناصر القوة الإيقاعية ، فنجد المناسبة اللفظية الناقصة بين(أرْغَى ــ أَزْبد) ففيه اتفاق فى الوزن والبنية المقطعية ، كذلك هناك إيقاع خاص بالكلمة وهو الطباق الذى يجمع بين (ابيضَّ ــ أسود) ، ثم بدأت القصيدة بعد هذة البداية المرتفعة فى الانحدار ، أى أنها تمثل بعد ذلك قوة إيقاعية منخفضة ، فنرا يقول فى نفس القصيدة (٣)

فقلتُ هـذا حسابى مـع الزمـان تَسَـدد

ورُحـتُ فى الحلم قصرى فـوقَ النجـوم مُشَيَّـد

من خلال البيتين السابقين نجد أن القوة الإيقاعية بدأت فى الانخفاض ، وذلك من خلال توفر عناصر الإيقاع ، فنجد فقط المناسبة اللفظية بين (فَقُلتُ ــ وَرُحْتُ) هذه المناسبة اللفظية الناقصة ، التى تمثل معيارا للقوة الإيقاعية

(١) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين، صـــــــ٩٠.
(٢) ديوان أغانى الدرويش، رشيد أيوب، صـــــــ٤٥، البيت من الرجز.
(*) أرغى : صار له بياضا واضحا فى الشعر الأسود، وارتفع لونه كارتفاع الرغوة للألبان، ينظر اللسان، مادة (رغا) المجلد الثالث، صـــــــ١٦٥٨.
(٣) ديوان أغانى الدرويش، صـــــــ٤٨.
*وقالوا : أرغى فلان وأزبد ؛ ضجَّ غضبا وتوعَّد ونهدَّد، وقيل فلان كثير الزبد ؛ أى اشتد بياضه ينظر المعجم الوسيط ، صـــ ٣٥٨

المتوسطة ، تم تأخذ هذه القصيدة فى الانحدار حتى تصل إلى القوة الإيقاعية المنخفضة التى تعتمد على الوزن والقافية ـــ وهما العنصران الأساسيان ـــ فى البيت الشعرى ويمثلان الإيقاع الخارجي ، أما الإيقاع الداخلي فلا يوجد من عناصره ما يذكر

القوة الإيقاعية المختلطة فى شعر رشيد أيوب

هذا النوع من القوة معناه " اختلاف أبيات القصيدة فى عدد عناصر القوة الإيقاعية الاختيارية وهناك حالات يتحقق فيها الاختلاف بين أشطر الأبيات، ومما تجدر الإشارة إليه أن هذا النوع يعد من أكثر أنواع القوة الإيقاعية انتشارا فى الشعر العربي.[١] نأخذ مثالا على هذا النوع من القوة من قصيدة (جيـــــرة الوادى)[٢]

مَن مُبلغ فرط شوقي جيرة الوادى ... واها لقد جـــــــارتْ الدنيا بأبعادى
وصـــرت لمـــًا وَهَتْ أيام ميعادى ... إلى الرجـــــــوعِ بأحلامى أداويها
أنظر إلى القبةِ الزرقاءِ ثم أرقـــــــد ... وأُشْبِعُ النفسَ رؤيا من دراريها
يا نفسَ قدْ قلَّ عندى زيتُ مصباحى ... قومى واشربى من كُميت الراح وارتاحى

عندما ننظر فى القصيدة السابقة نلاحظ أن هيكل القوة الإيقاعية فى الأبيات من النوع المختلط .

ويمكن توضيح أبعاد هذا النوع على النحو الآتى :

- البيت الأول

لا يوجد فيه أى عنصر إيقاعي اختياري

- البيت الثانى

زيادة عدد الأصوات حتى الدرجة الرابعة ، وهو تكرار الفتحة الطويلة خمس مرات

- البيت الثالث

الجناس الناقص بين " يجمد ـــ يخمد "

- البيت الرابع

لا يوجد أى عنصر إيقاعي اختياري

- البيت الخامس

زيادة عدد الأصوات حتى الدرجة الرابعة ، وهو تكرار الكسر الطويلة خمس مرات

(١) نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين، صـــــــــــ٩٣
(٢) ديوان أغانى الدرويش صـــــ٦٩ الأبيات من الرجز

نتائج البحث

(١) الدرس الإيقاعي قبل نظرية القوة الإيقاعية كان مرتكزًا على إيقاع الوزن الشعري ـــ العروض الخليلي ـــ ؛ كما أن الإيقاع اقتصر على عنصرين إجباريين الوزن والقافية.

(٢) تعدُّد مظاهر القوة الإيقاعية فى شعر رشيد أيوب من قوة منتظمة ، وغير منتظمة ، فتمثلت فى بيت واحد ، وأبيات متتالية ، وأبيات متفرقة .

(٣) احتلت القوة المتوسطة المركز الأول فى شعر رشيد أيوب ؛ ، تليها القوة المنخفضة ، وجاءت القوة المرتفعة فى المركز الأخير .

(٤) احتلت القوة الانحدارية المركز الأول فى شعر رشيد أيوب ، تليها القوة التصاعدية، ثم جاءت القوة المختلطة فى المركز الأخير .

المصادر والمراجع

- استراتيجيات القراء : التأصيل والإجراء النقدي، د. بسام قطوس ، دار الكندى للنشر (١٩٩٨م)
- الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي فى العصر العباسي، د. ابتسام حمدان، مراجعة . أحمد عبد الله فرهود دار القلم العربي، الطبعة الأولى.
- الإيقاع فى الشعر العربي، عبد الرحمن ألوجى، دار الحصاد للنشر،(١٩٨٩م).
- بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح فى علوم البلاغة،عبد المتعال الصعيدي، مكتبة الأداب،ج٤ (د.ت).
- البلاغة الصوتية فى القرآن الكريم، د.محمد إبراهيم أبو شادي، دار الرسالة، الطبعة الأولى (١٩٨٨م).
- خصائص الإيقاع الشعري، د.العربي عميس، دار الأديب للنشر،(٢٠٠٥م) .
- ديـــوان الأيوبيات، رشيد أيوب.
- علم الدلالة التطبيقي فى التراث العربي، د.هادى نهر، دار الأمل للنشر، ط الأولى (٢٠٠٧م).
- فلسفة الإيقاع فى الشعر العربي، علوي الهاشمي، المؤسسة العربية للنشر،(٢٠٠٤م).
- فنون بلاغية ، البيان ــ البديع، د. أحمد مطلوب، دار البحوث العلمية (١٣٩٥ه ـــــــ ١٩٧٥م) الطبعة الأولى.
- نظرية القوة الإيقاعية فى الخطاب اللغوي، أ.د. حازم على كمال الدين.